ألفـــــــاظ الحياة العامة

دراسة لغوية و معجمية

د . روبحي لخضر
كلية الآداب واللغات
جامعة المسيلة (الجزائر)

Abstract:

This study aims at identifying the Algerian daily expressions. The researcher opted for a descriptive method in gathering the oral expressions used by Algerians in their day to day communication on the basis of the language characteristics pertaining to phonological , derivative and on the impact that foreign languages have on the Algerian dialect

Key words : descriptive method , lexical and linguistic study , dialect , standard Arabic.

Resume:

Cette étude vise à la reconnaissance des différentes expressions algériennes qui relévent du langage oral familier.

Dans cette recherche, on s'est servi de la méthode descriptive en procèdent à chercher et identifier les différentes expressions algériennes les plus utilisées dans le contact oral entre les algériens.

Mots cle : methode déscriptive ,étude lexicale et linguistique,dialecte, langue soutenue.

ملخّص :

تسعى هذه الدراسة إلى التعرّف على ألفاظ العاميّة الجزائريّة . و قد اتبعت المنهج الوصفي في جمع الألفاظ المنطوقة التي يتفاهم بها الجزائريون في حياتهم العامة . متوقفا على السمات اللغوية التالية : الصوتية ، الاشتقاقية ، تأثر العامية الجزائرية باللغة الأجنبية .

الكلمات المفتاحية : المنهج الوصفي، الدراسات المعجمية اللسانية، اللهجة، اللغة الفصحى.

مقدّمة :

لقد نبّهت مجامع اللغة العربية إلى أهمية مثل هذه الدراسات التي تهدف إلى عمل معجم شامل لألفـــاظ الحيـــاة العامة المستعملة في العالم العربي ، إذ حثّ مجمع اللغة العربية في القاهرة على البحث عن الفصحى في مجالها الواسع بين اللهجات العربية ، بتنظيم دراسة علمية للهجات العربية في الأقطار المختلفة . و قد عدّ عباس محمود العقار هـــذه المادة أنفع أغراض المجمع في خدمة الفصحى [1] .

من أجل ذلك جمعت نماذج مختارة من هذه الألفاظ ، و التي تعبّر عن مجالات مختلفة في حياة النـــاس كألفـــاظ الحرف، و السوق، و أدوات الزينة ...إلخ . متوقّفا على سمات لغوية ، صوتية و اشتقاقية ، و ما تأثّرت بـــه اللغـــة الأصلية ممّا وفد عليها من ألفاظ أجنبية .

مصطلح العّامة :

المصطلح ضارب في عمق التاريخ اللغوي ، يعود استخدامه وتعاطيه إلى القرن الثالث الهجري حيث نشـطت حركة التصحيح اللغوي الرّامية إلى تحرير ألسنة المثقفين عامة من اللحن الذي بدأ يشكل ظاهرة مرضـية، فصـدرت عناوين تحمل هذا المصطلح ، نحو : " ما تلحن فيه العامة " و " لحن العامة " و " لحن العوامّ " وغيرها [2] .

و العامّة في عرف اللغويين ، ليست الجماعة البشرية التي تتكلّم اللهجة العامية اللغة الأم التي نكتسبها في خلال بضع السنوات الأولى ، و تحدّد تشكيل البرنامج اللغوي الأوّل في الدّماغ ، و إنّما هي الجماعة البشرية التـي تشـترك على السواء في التعبيرات اللغوية عن كل ما يتعلق في حياتهم اليومية.

جاء في معجم اللغة العربية الأردني هذا التعريف : " ألفاظ الحياة العامة كلّ التي مازالت حية ومسـتعملة عنـد عامة الناس وخاصتهم سواء أكان قد شملها التدوين أم بقيت موروثة تناقلتها الأجيال [3] عل كلّ مـا يتعلـق بـأدب الحواس من مطعومات و مشمومات وملموسات و مسموعات ومبصرات و غيرها يكون أدق و أعمّ و أشمل [4] .

وقد اهتم دارسوا اللغات الحيّة اهتماما كبيرا بدراسة اللهجات ، لأنّهم يرون فيها مبـادئ التطـور الصـرفي و النحوي . في حين كانت نظرة الكثير من الباحثين العرب القدامى و المحدثين للهجات العربية تقهقر عن اللغة الفصحى أو كما يقول ابن خلدون (فساد الملكة) و أعتقد أنّ الكثير من هذه الألفاظ وليد اللغة السامية و لها أصـل عربـي فصيح .

أهميّة هذه الدّارسة :

ألفاظ الحياة العامة في مقولات الجزائريين المختلفة ، ميدانيّ مؤسّس على السماع (النقل المباشر) من أصحاب اللغة في مواقعهم المختلفة الاجتماعية و الجغرافية المتباينة .

وهو ميدان خصب لكثير من الباحثين و لاسيّما علماء علم اللغة الاجتماعي ، و علماء علم اللغـة التقـابلي ، و الباحثين في مجالي التراث و الفولكلور الشعبي . يقول مختار نويوات : " العاميّة أو العاميّات العربية تستمدّ قوّتها من الحياة الطبيعية. و الحياة الطبيعية لا تقهر و لذلك لم يدع أحد إلى مناهضتها بل دعي إلى تبنّيها وتنقيتها من الشوائب و الرّفع من مستواها و إثرائها للتقريب بينها و بين الفصحى " [5] .

ومن المؤسف حقا أن لا العرب القدماء و لا العرب الأحياء اهتموا بدراسة اللهجات العربية الحيّة، بل بقيت هذه الناحية اللغوية وقفا على المستشرقين [6] . و السبب في اعتقادي يعود إلى وهم عام شـامل وقـع فيـه الأقـدمون و المعاصرون هو أنّ اللهجات العامية تقهقر عن الفصحى .

السّمات اللغوية :

إنّ هذا اللسان الدّارج الذي كان إفرازا أفرزته الفصحى لم يبعد الكلمة الفصيحة عن مدلولها العربي السـليم ، و التغيير الذي يلحقها يكاد ينحصر في تغيير لحركاتها ، وقلب لبعض حروفها ، أو تغيير طفيف لصيغتها .

وقد وقفت عل كلمات عامية وكنت أحسبها كذلك ، و كثيرا ما نترفع عن استعمالها فوجدتها فصيحة ، اختفت من الكتاب و القصيدة ، ويضعها البعض بين قوسين استحياء من ذكرها ، و بقيت حيّة على لسان الفلاّح و رجل الشارع . ومن الإنصاف أن نردّ لهذه الكلمات المغمورة اعتبارها إن لم يكن بتوظيفها فليكن بالتعرّف عليها.

أ – الصوتية :

صوت الهمـزة : حذف الهمزة في بعض الكلمات ، و بخاصة إذا جاءت الكلمة مضافة ، و ذلك نحو قـولهم: (مسا الخير) في : (مساء الخير) . و حذف همزة القطع في أوّل الكلمة ، و ذلك نحو قولهم : (خوالي) بدلا مـن(أخوالي) .

كما هي الحال في بعض اللغات السامية كالسريانية ، إذ تنطق كلمة كتاب فيها هكذا Ktab و هي ظاهرة قديمة .

أمّا إذا كانت الهمزة في بنية الكلمة، فإنّهم يقلبونها إلى ياء، مثل : (قريت) في (قرأت) ، أو إلى ألف مثل : (راس) في (رأس) ... وهكذا.

كما تبدل الهمزة هاء ساكنة في مثل : (بيضه) في (بيضاء). و لا يقتصر ذلك على العامية الجزائرية، إذ هي ظاهرة سائدة في كثير من اللهجات العربية .

صوت الضاد : نطق صوت الضاد ظاء ، يقولون (يظحك ، يظرب) في: (يضحك ، يضـــرب) ، وربّمـــا كـــان السبب في الخلط بينهما يعود إلى قربهما في المخرج الصوتي و اتفاقهما في صفة الجهـــر والإطبـــاق و الاســـتعلاء و الرّخاوة [7] إضافة إلى صعوبة نطق الضاد كما وصفها القدماء .

إبدال السين صادا : نحو قولهم : (برنوص) في : (برنوس) .

ب – النّحت (الاشتقاق الكبّار) :

هذا اللون من الاشتقاق لم يعرفه العرب كثيرا ، ولم يسرفوا فيه إسرافهم في أنواع الاشتقاق الثلاثـــة الشـــائعة (الصغير ، الكبير، الأكبر) ، وذلك لسببين : أولهما أن هذه الأنواع الثلاثة أغنتهم عنه ، أما الثاني فراجع إلى أن لغـــة الضاد لغة اشتقاقية وليست تركيبية أو إلصاقية كاللغات الآرية .

ويعتبر عبد الله أمين أول من أطلق هذه التسمية على النحت لشبه هذا النزع بنحت الخشب وقطـــع الحجـــارة ، فكما يزيل النجار من خشبتين فأكثر ما فيهما من زوائد ونتوء ، ويستبقي الصالح منها ، ويضم بعضه إلـــى بعـــض ، ويؤلف قطعة واحدة ، كذلك يفعل هذا الاشتقاق حيث يزيل من كلمتين فأكثر بعض ما فيها من أحـــرف غيـــر صـــالحة للضم، ويستبقي الأحرف الصالحة للضم ثم يضم بعضها إلى بعض ويؤلف منها كلمة واحدة . يقول عبد الله أمـــين : " وقد أسميته الكبّار بالتثقيل، لأن الكبّار أكبر من الكبار بالتخفيف ، والنحت أكبر أقسام الاشتقاق السابقة . " [8]. وقد تابعه بعض المحدثين في هذه التسمية ومنهم الدكتور صبحي الصالح[9] عملا بسنة الترقي في مباحث الاشتقاق .

وقد عرّفه ابن منظور بقوله :" النّحت : النّشر والقشر ، والنحت نحت النجار الخشب ، نحت الخشـــبة ونحوهـــا ينحتها وينحتها نحتا فانحتت. والنحاتة : ما نحت من الخشب ، ونحت الجبل ينحته : قطعه ، وهو من ذلك ، في التنزيل { وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ } الحجر: 82 . " [10]

أما تعريفه اصطلاحا :" هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر ، مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه فـــي اللفـــظ والمعنى معا " [11] . فصورته أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع منهما كلمة للدلالة على معنى مركب مـــن معـــاني الأصول التي انتزعت منها وغاية ذلك الاختزال. ومثاله « بسمل » من : بسم الله الرحمن الرحيم ، و « حوقل» من: لاحول ولا قوة إلا بالله ، فبناء الكلمة الجديدة آخذة من غيرها جميعا ودالة عليها في المعنى .

ولعلّ أوّل من تحدث عن النحت في اللغة العربية ، الخليل بن أحمد الفراهيدي « ت 175 هـــ » إذ قال: « إن العين لا تأتلف مع الجيم في كلمة واحدة لقرب مخرجها ، إلاّ أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل : « حي علـــى» كقول الشاعر :

ألا ربّ طيف بات منه معانقي إلى أن دعا داعي الفلاح فحيعلا

يريد : « قال : « حي على الفلاح » ، أو كما قال الآخر :

فبات خيال طيفك لي عنيقا إلى أن حيعل الدّاعي الفلاحا

أو كما قال الثالث :

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادي [12] .

فهذه كلمة جمعت من « حي» ومن « على» وتقول منه « حيعل يحيعل حيعلة »

و يعدّ أحمد بن فارس« ت 395 هـ » من أكثر المهتمين بالنّحت إذ توّسع فيه توّسعا عظيما لم يسبق إليه... يقول:" العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار" [13]. وذكر الألفاظ المنحوتة منة كلام العرب نحو "قولهم: « صهصلق »[14] إنه من « صهل» و « صلق » ، وفي « الصلدم» [15] إنّه من «الصلد» « الصدم » .

صور النحت في اللغة العربية :

لقد ورد النحت في اللغة العربية على صور عديدة أهمها:

1. تأليف كلمة من جملة لتفيد مدلولها، كحيعل المأخوذة من « حي على الصلاة، حي على الفلاح » .
2. تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، عند قصد النسبة إلى المركب الإضافي إذا كان علما كعبشمي في النسبة إلى عبد شمس ، و عبدري في النسبة إلى عبد الدار.
3. تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، تستقل كل كلمة عن الأخرى في إفادة معناها تمام الاستقلال، لتفيد معنى جديدا بصورة مختصرة. وذلك مثل: « لن» الناصبة، يرى الخليل أنها مركبة من «لا» النافية و« أن» الناصبة. و« أيّان»الشرطية مركبة من« أي آن » فحذفت همزة أن وجعلت الكلمتان كلمة واحدة متضمنة معناهما. وهذا النوع شائع في اللغات الهندوأوروبية إلا أنه نادر جدا في اللغات السامية .

ومثاله في العامية الجزائرية : (مازهر) في : (ماء الزهر) وهي تركيب كلمة واحدة من كلمتين ، كنوع من الاختصار و التخفيف .

ج – التعريب :

تعريفه :

أ – لغة : يطلق مصطلح (المعرّب) نسبة إلى العربية ، إذا نقل اللفظ إليها، فيمكن إذن أن نطلق عليه اسما آخر إذا نقل إلى اللغة الانجليزية أو الفرنسية ... إلخ . جاء في اللسان: " تعرّب : تشبّه بالعرب ، وتعرّب بعد هجرته أي صار أعرابيا ... وعرّبه : علّمه العربية ... وتعريب الاسم الأعجمي : أن تتفوّه به العرب على منهاجها " [16] .

ب – اصطلاحا :عرّفه السيوطي بقوله : " هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها " [17] فالمعرّب صفة تطلق على اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية بعد تغييره بالزيادة أو النقص أو القلب. بمعنى : " أن تأخذ اللغة العربية ألفاظا من غيرها من اللغات ، تبقى فيها آثار استعمالها في اللغة المأخوذ منها، أي كما هو في الأعجمية "[18] . مثال ذلك : ساذج و بنفسج فإن أصلها الفارسي : ساده و بنفشه " فهو من أصل غير عربي ، طوعته ألسنة العرب ، ونطقته به وفق ما استساغته من أصوات و ما انسجم مع جرس ألفاظها .

فهو إذن " أن تأخذ لغة ما ألفاظا من لغة أخرى ، ليصير منها بعد صبغه بصبغتها ، لئلا يكون اقتراضا . فهذا الأخير " نقل كلمة أجنبية إلى اللغة العربية بلفظها " [19] .

و التعريب نوعان ، أولهما : النقل إلى العربية وعكسه التعجيم . و ثانيهما : إضفاء الطابع العربي على المصطلح الأجنبي و استيعابه و دمجه و تكييفه .

وقد أفرزت ظاهرة الاقتراض اللغوي في العربية مصطلحين متداخلين هما المعرّب و الدخيل . ومع ما لكل منهما من طبيعة البحث الخاصة ، إلا أنّ الفوارق و الحدود سرعان ما تتلاشى بينهما لانتماء المصطلحين إلى أرومة واحدة .

و قد كان لأبي حيان رأي واضح ومفصّل في قضية المعرّب ، فتبيّن له أنّ هذه الأسماء الأعجمية تنقسم ثلاثة أقسام هي :

أ – قسم غيّرته العرب و ألحقته بكلامها ، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد و الوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع ، نحو : درهم و بهرج ...

ب – قسم غيّرته و لم تلحقه بأبنيتها ، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو : آجر و سفسير .

ج – قسم تركوه غير مغيّر، فما لم ليلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها ، و ما ألحقوه بها عدّ منها . مثال الأول : خراسان لا يثبت به فعالان ، و مثال الثاني : خُرَّم ألحق بـــ : سُلّمُ .

نماذج من ألفاظ المعرّبة :

- ألبوم (دفتر لجمع الصور و حفظها) Album
- ألو (مرحبا للمخاطبة في التليفون) Allo
- بالو (بالون) Ballon
- بروش (مشبك زينة تستخدمه المرأة) Broch
- بلاستيك (لدائن مصنوعة من مستخرج البترول) plastic
- بنك (مصرف) Bank
- تكسي (سيارة أجرة للركاب) Taxi
- تلفزيون (تلفاز) Télévision
- تلفون (هاتف) Téléphone
- جبس (رقائق البطاطا المقلية) Chips
- سينما (الخيالة) Séné ma
- شاصي (إطار السيارة) Châssis
- شمبوا (الغاسول) Champoing
- فلاش (وميض) Flash
- كارت (بطاقة) Carte
- كارتون (علبة من الورق المقوى) Carton
- كراج (ورشة لإصلاح السيارات) Garage
- كسيت (شريط) Cassete
- كابل (حزمة أسلاك) Câble
- مكروب (جرثومة مجهرية) Microbe
- ميدالية (وسام تقدير) Médaille

وهكذا يتضّح أنّ عدد الألفاظ المعرّبة في العامية الجزائرية كثير ، و أنّ هذه الكلمات لم تخضع لقوانين التعريب المعروفة ومن ثمّ فإنّها تظلّ في حكم الألفاظ الأجنبية ، وهذا ينسحب على اللهجات العربية كلها بسبب التأخّر الحضاري و ما تستورده الأمة العربية من منتوجات تصل إليها بمصطلحاتها المعروفة .

العامية وعلاقتها بالفصحى :

اللسان الدارج إفراز أفرزته الفصحى، لم يفقد في أغلب الحالات الكلمة العربية بنيتها و طبيعتها رغم ما تداولها من ألسن لم تكن العربية لغتها ، وما توالى عليها من أحداث لم تفقدها هويتها .

إنّ الاستعمال العاميّ كما لم يبعد الكلمة الفصيحة عن مدلولها العربي السليم كذلك فهو لم يشوهها بما يبعدها عن جرسها و إيقاعها، و التغيير الذي يلحقها يكاد ينحصر في استعمالها بتغيير حركاتها ، أو قلب بعض حروفهـــا . وهـــذه نماذج موضحة لهذا الأمر :

– ادّني معك : في الفصيح أدى الشيء يؤديه و أدّاه : أوصله ، وبنفس المعنى تستعمل العامة الكلمة في قولها: ادّني معك أي خذني و أوصلني ، و دّاه : أخذه و أوصله حيث أراد .

– استنّى : فصيح هذه الكلمة هو تأنّى بمعنى امكث و انتظر ، و العامة تستعمل بديلها كلمة استنّى .

– ابرك : برك الجمل استناخ و ألصق بطنه بالأرض ، وبرك بالمكان : أقام فيه. و بهذا المعنى الفصيح تستعمل العامة الكلمة .

– باش : معناها بأي شيء .

– تقوّت : في الفصيح :تقوّت بالطعام : أكله .

– تصنّت : فصيح هذه الكلمة هو تنصّت إذا استمع و أصغى ، و العامة تنقل الصاد إلى مكان النون .

– المسّوس : تستعمل هذه الكلمة في العامية مشددة السين للطعام الذي قلّت فيه مادة الملح .

وهكذا يتّضح أنّ هناك علاقة متينة بين العامية الجزائرية و الفصحى ، وقد وجدت نفسي منذ زمن بعيد شديد الانتباه إلى تلك الألفاظ التي لها علاقة بالقرآن الكريم مثل قولهم (بسّت ، امبسّة) و هي توافق المعنى الوارد في قوله تعالى : {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً } الواقعة : 5 . ومن الإنصاف أن نردّ لهذه الكلمات المغمورة اعتبارها، إن لم يكن باستعمالها فليكن بالتعرّف عليها .

الخاتمـــة

تعتبر اللغة العامية مصدرا من مصادر التعريب المهمة، فهي غنية بالمصطلحات نظرا لصلتها الوثيقة بالواقع وممارسات الحياة اليومية فضلا عن كونها وليدة اللغة الأم، اللغة العربية الفصحى. هذه الألفاظ تستعمل للتعبير عن مستلزمات الحياة اليومية المفعمة بالمفردات الأجنبية، وهي تنتشر بين الناس عن طريق وسائل الاتصال وكذا من خلال استعمال المواد المستورة من هنا هناك، إلا أنّها متى عمت بين الناس أصبح من العسير أن تتغير، لاسيّما إذا تأخر وضع مقابلاتها في اللغة العربية.

الهوامش:

1 – ينظر : مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، العدد 10 ، ص 107 .

2 – عبد العزيز مطر : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة ، 1966 ، ص 36 و ما بعدها .

3 – مجمع اللغة العربية الأردني ، معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن ، ص 2 .

4 – المصدر نفسه ، ص 9 .

5 – مجلة اللغة العربية ، الجزائر ، العدد 18 ، الصادرة في 2007 م ، ص10 .

6 – راجع مقال Kampffmeyer أستاذ اللهجات العربية في معهد برلين للغات الشرقية ، في الموسوعة الإسلامية تحت مادة Arabia فقرة Arabia dialects ، في وصف شامل لجهود المستشرقين في هذا الحقل.

7 – محمد مكي نصر : نهاية القول المفيد في علم التجويد ، مطبعة مصطفى الحلبي ، 1349 هـ ، ص 60.

8 – عبد الله أمين : الاشتقاق ، ص 391 .

9 – ينظر : دراسات في فقه اللغة ، ص 243 .

10 – ابن منظور : لسان العرب ، مادة : (ن . ح . ت) .

11 – بحث في علم الاشتقاق ": لعبد الله أمين ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ص 382 .

12– الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السمرائي ، ط دار الرشيد بغداد ، 1980 م ، ج 1 ، ص 60 .

13 – ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة ، ص 263 .

14 – الصهصلق : الصوت الشديد للمرأة والرعد والفرس .

15 – الصلدم : الشديد الحافر .

16 – ابن منظور : لسان العرب ، ط 1 ، بيروت 1990 ، دار صادر ، مادة عرب .

17 – السيوطي : المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى و آخرين ، ط 3 ، دار التراث ، ج 1 ، ص 268.

18 – محمد أحمد ربيع / محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في اللغة العربية ، ط 1 ، الأردن ، 2004 ، دار الكندي ، ص 22

19 – أحمد بن نعمان : التعريب بين المبدأ و التطبيق في الجزائر و الوطن العربي د ط ، الجزائر 1981 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ص 406 .